اللحن الحزين !

للأديب إبراهيم محمد نجا

[قيلت فى رثاء فقيد العروبة والاسلام الأستاذ أحمد محرم بمناسبة مرور أربعين يوما على وفاته] .

نبأ ألمّ فهاج كامن دائى ... إذ كنت أستشفى من الأدواء
متغربا عن واجمى ، متفرداً ... بمدامعى ، متوحداً بعنائى
نبأ به تدمى النفوس ، وإنما ... تدمى النفوس بفاجع الأنباء
قالوا لقد ذهب الردى بمحرم ... فى غير ما ريث ولا إبطاء
عجلا به إذ كان يحمل مهجة ... كالشمس قرب سنّى وبعدسناء
والأهل يبكون الفقيد ، وإنما ... يبكون خير مشيّع ببكاء
ما بال هذا النعش يسرع بالخطى ... فى لهفة محفوفة برجاء ؟
كمسافر نضو السّفار بدت له ... وقت الهجيرة واحة الصحراء
والناس أنضاء الحياة ، وإنما ... تلك المقابر واحة الأنضاء
ما بال هذا الجمع يرجع مطرقا ... فى وحشة وكآبة خرساء ؟
أين الفقيد ؟.. لقد نأى متغربا ... وا رحمتاه للغريب النائى
تركوه فى قلب الثرى متفرداً ... إن التفرد شيمة الشعراء

* * *

يا شاعراً عرف الحياة مآسياً ... مصبوغة بمدامع ودماء
يا شاعراً عرف النفوس ومابها ... من جامح النزعات والأهواء
ورأى الزمان وكيف يخترم الورى ... بفواجع النكبات والأرزاء
ورأى الفناء حقيقة علويّة ... ورأى البقاء ضلالة الأحياء
فأتى يصور فى القصائد ما رأى ... ببراعة عزت على النظراء
فى كل طارقة ، وكل مُلِمّة ... غراء تخلب أنفس الفصحاء
معنى كنور الشمس ... فيه من السنى ... روح الحياة ، وجوهر الأشياء
يوحى إلى النفس العلاء ، وإنما ... تعلو النفوس بقوة الإيحاء
وكريم لفظ صيغ من محض الشذى ... ومن السنا والظل والأنداء
طوراً كرقراق النسيم ، وتارة ... كالعاصفات يثرن فى البيداء
وخيال منشور الجناح معلّق ... كالنسر فوق القمة الشماء
شعر يخلّد فى الصدور ، وغيره ... يفنى كما يفنى حَباب الماء
أبقى لنا الصوت القوى ، وغيره ... لم يُبق إلا خافت الأصداء
وهدى إلى سبل السلام مباركا ... كمنارة فى ليلة ظلماء
والشعر مثل النفس ... منه مظلم ... يعمى القلوب ، ومنه ذو أضواء
يا شاعراً مسّ القلوب بشعره ... فإذا بها تصحو من الإغفاء
كالغيث باكر فى الصباح سباسباً ... فتألقت برياضها الغنّاء
شعر كأنهوى النفوس ، موكل ... بالنفس يكشفها لعين الرائى
أبصرت فيه سرائرى فعشقته ... عشق النفوس لغادة حسناء
وجعلته سلوى حياتى كلها ... وملاذ أحلامى ، وحصن رجائى
من أى شىء صغت شعرك ، إنه ... طب الجراح وبلسم الأدواء ؟
إنى عرفتك فى الحياة مجاهداً ... بعزيمة وقادة ومضاء
تمضى على الأحداث تدفع موجها ... عن متكبيك بهمة قعساء
ولقد أراك — وأنت هُدْبٌ للأسى — ... تخفى الهموم ببسمة غراء
كالسيف يبدو فى غبار معجاجة ... متألقاً كالكوكب الوضّاء
ماهنت يوماً فى الحياة ، وإن تكن ... قد عشت بين براثن اللأواء
يا للحياة ، وما يكلّف حبّها ... من جل مكروه ، وبذل فداء
عجباً لنا نهوى الحياة ، وإن تكن ... بالغدر مولعة وبالإيذاء
كالغادة الحسناء تذكى حبّها ... فى القلب بالهجران والإقصاء
سيان فى حب الحياة منعّم ... جمّ الثراء ، ومعدم البؤساء
سيان فى شرع الحياة ودينها ... حزن الشقى ، وفرحة السعداء
وإذا طلبت من الحياة عدالة ... فلقد طلبت قلائد الجوزاء
ما العدل من شيم الحياة ، وإن تكن ... تخفى مظالمها على الفطناء

* * *

أيها فقيد الشعر فى البلد الذى ... لم يرْعَ حق الشعر والشعراء !
وأساء عيش ذوى البصائر والنهى ... حسداً ، وأحسن عيشة الدهماء !